

مول قمر الناصر :

في فن الإخراج المسرحي

للاستاذ زكي طليمات



والحركة الفكرية الواعية وغير الواعية . بفعل التقدم الآلي في الصناعات والمخترعات وبتأثير الحركة العلمية التي انتهت إلى اكتشاف جرائم الجدرى والدفتريا والسل وغيرها من الأدواء ، وهي حركة قوامها (المجهري) و (معمل الإنجحات والتحليل) فكان أن خلد في أذهان الناس بتأثير هذا ، أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى جوهر الأشياء إذا أخضعها للتحليل والتجزئة ، وأن آله (الفوتوغرافيا) في إمكانها أن تنقل الحياة الواقعية نقلاً دقيقاً يطابق الأصل فالن والحالة هذه ، لا يكون في أوج كماله إلا إذا نسخ الواقع وماتله .

ويروى تاريخ الإخراج المسرحي ، في صدد هذه النزعة الواقعية أوجب الحوادث ، فقد أخرج (أنطوان) زعيم هذه الحركة في المسرح منظراً في إحدى الروايات ، يمثل مجزراً للماشية ، فكان أن شاهد الجمهور عدداً من الماشية المذبوحة وقد سلخت جلودها ، وشدت إلى المشاجب الحديدية ، والدم يقطر منها فوق أرض المسرح ، فصق الجمهور إعجاباً .

وأخرج زميله الروسي منظراً يمثل مقدم باخرة تشق عباب البحر في يوم عاصف ، فإذا برشاش الماء يتناثر على الصفوف التقدمية من أمكنة النظارة . وهكذا أصبحت قدرة المخرجين على محاكاة الواقع مقياساً لانفوق والشهرة .

ولم يكن المخرجون في هذا منحرفين عن الجادة ، لأنهم كانوا يصدرون عما يتفق ونظرتهم ونظرة الجمهور إلى الفن المسرحي من حيث أنه صورة شحبة من الواقع الملموس . وقد تناسوا أن الناظر التي يطالعونها فوق للمسرح لا تأخذ من حقائق الأشياء غير مظاهرها ، بدليل أن ما يرونه ممثلاً للجدران الصلبة ، والأعمدة ، وحوائط الباخرة ليس إلا أستار ملونة مشدودة إلى إطارات من الخشب ، ويمكن للدلالة على زيف ممدنها أن تقع يد إحد الممثلين عليها فإذا هي تهتز وترتمش .

هذه النظرة إلى فنون المسرح أو بالأحرى هذه (النزعة الواقعية) ، ما برحت تسود الأكتية الغالبة من الجمهور . وقد جاءت الينام مع مجيء فن التمثيل باللسان العربي ، وفي طيات الموجة الثقافية الغربية التي تكسرت على شواطئ وادي النيل فيما بعد أواسط القرن الماضي . وقد تأصلت لهذه النزعة في مجتمعا جذور أمتدت على مر الزمن ، فإذا الفن بين أيدينا لا يتعدى أن

في العدد ٧٥٠ من هذه المجلة القراء تفضل الأستاذ (ط) بكلمة طيبة عن تمثيل الفرقة المصرية رواية (الناصر) للشاعر الكبير عزيز أباظة باشا ، وجعنى فيها بالتفاته رعاة ، ثم تكرم غلصاً بالغات نظرى إلى ناحية من نواحي الإخراج الذى أجريته في السرحية ، وهي ناحية جدية بالكشف وفي التعقيب عليها تبيان لمنحى من مناحى الإخراج المسرحي في مرحلته الحديثة .

يمجب الأستاذ كيف يحدث جرح ، فوق المسرح طبياً ، من غير أراقة دماء ، فقد طمئت إحدى شخصيات الرواية أخرى بخنجر ، ومع هذا فانه لم ير أثر للدماء ولا تمزق في الثياب .

وهذا عجب مشروع له ركاز من الحق إذا اعتبرنا فن التمثيل من حيث الأداء ومن حيث الإخراج ، نسخاً للحياة ونقلها عن الواقع في أدق تفاصيله ، أو بالأحرى إذا اعتبرنا المسرح لوحة فوتوغرافية من الواقع

هذا الاعتبار الذى يأخذ به نقاد المسرح المصرى له أصل في تاريخ تطور الفكرة من فنون المسرح ، وأقصد بالفكرة وجهة النظر التي يأخذ بها الجمهور أدباؤه وفنانونه ، تبعا للمزاج العام الذى تعمل على تكوينه الاتجاهات الصريحة في الأدب والفنون ، وقد برزت في أتم طابع وجهة النظر في أن يكون فن التمثيل ممثلاً لكل المائلة للحياة الواقعية ، في أواسط القرن الماضي ، وانتشرت في أواخره وغيرت كل وجهات النظر الأخرى ، على يد المخرج الكبير (أندريه أنطوان) في فرنسا (استانسفسكى) في روسيا ، وكانت هذه الحركة بمثابة رد فعل لما كانت عليه فنون المسرح إذ ذاك من اعتماد على الواقع واغراق في الأخذ بالتزايق .

ولم يك هذا أمراً مستغرباً لأن (المذهب الواقعي) كان سائداً في أوروبا ، وشمل الأدب في جميع ألوانه ، والفن في مختلف أنواعه .

ولم يك هذا المذهب الواقعي إلا سدى من أسداء المزاج العام

هو دون هذا ، فإن طمئة الخنجر أو ضربة السيف ، توحى بما يصاحبها .

وقد يصح أن في اتباعى هذا المذهب أقدم غير ما يألوه السواد الأكبر من الجمهور ، ولكن من واجبي أن أبشر بالجديد الذى يقوله الجمهور الأوروبى ، وهو جمهور سبقنا فى مضمار فنون المسرح ، وعنه نأخذ فى فنية المسرح وحرانيته ، وهذا الجديد غير عسير استساغته ، لأنه يرتكز على الطبيعة بقدر ولا يحاكيها كل المجافاة .

وأؤكد للأستاذ (ط) أن مداركة ما أخذه علينا من أن الدم لم يتفجر على أثر طمئة الخنجر ، من أيسر الأمور ، ويكفى أن نضع فى عيب ممثلة دور الفتاة التى تظمن بالخنجر ، (تقاحة) مملوءة بسائل أحمر ، لا بالدم ، فسرعان ما تتفجر تحت ضغط اليد التى تهوى عليها ، فيفشى السائل الأحمر نياها ويسيل إلى الأرض ، بل وينطلق رشاشه إلى الجمهور الذى يأخذ مكانه فى الصفوف الأمامية .

نم ماذا يكون قول الأستاذ (ط) إذا شاهد مرة فى إحدى المسرحيات منظرًا يمثل معركة حربية بين سليل السيوف التى من الخشب ، وانفجار القنابل الزيفة التى تفرقع ولا تحدث أثرًا ، بماذا يحاسب المخرج إذا لم ير الدماء تسيل أنهارًا فوق المسرح ، والإشلاء تتطاير هناك وهناك ، ويضرب بعضها وجوه النظارة كما كان يجب أن يجرى فى الواقع ، وهل يصح أن يقول أن المخرج أهدر جانب الواقع ، وتورط فى الخطىء القاضح .

أقول أن الخلدع المسرحية التافهة التى تدخل فى نطاق ما ذكره الأستاذ الناقد أصبحت اليوم لا تؤثر فى الجمهور الثقاف ، كما كانت تؤثر فى نفوس أجدادنا مخدوعين أو متناسين الحقيقة ، لأن النضج الذى نزل بالذهنية الحديثة من جراء التطور العلمى العام صار يميل إلى الأخذ بالإنحاء حتى ينسرح خيال المشاهد فيكمل التفاصيل ، على وجه قد يكون أدوع من تفاصيل مفروضة عليه من سواء .

أقول أن فن المسرح فى مظاهره المادية الخاصة بالإخراج ليس الحياة بواقعيته وفى دقائقها وتفاصيلها ، وإنما هو تمويه بهذا فى حدود المقول ، الذى يبعث الإنحاء ويساعد على الرمز وينشط تخيلة النظارة على الإنسراح لاستخراج التفصيل من المجهل ، والكل من الجزء .

زكى طلمبات

يكون صوراً شمسية من الواقع فى أدق تفاصيله .

ولكن الزمن قد تطور فى أوروبا التى أخذنا فنون المسرح عنها ، فتغيرت قيم وأوضاع فى الأدب والفن ، فبليت (واقعية) الفن بمقد أن اتضح قصورها عن أشباع الواعية الأوروبية التى ازدادت نضجاً على وقع التقدم العلمى فى نواحي الفلسفة وعلم النفس ، الذى أثبت أن الرئيات إنما هى مظاهر ودلائل تشير إلى جوهر الأشياء ولا تفصل ، وتوحى ولا تفصح ، وتجمل ولا تحلل وأن الأخذ بالتركيب Synthèse أصوب من الأخذ بالتجليل العاجز المتناول . وقامت نزعة جديدة فى الأدب والفنون تأخذ بالإيماء بدلاً من نسخ الواقع وتفاصيله ، وبالتركيز بدلاً من التحليل المفصّل الذى يعنى بالتفاصيل ولا ينتهى إلى الجوهر . وقامت فى المسرح ، وذلك فى أوائل القرن الحاضر ، حركة تنافس (الواقعية) فى فنون التمثيل وترتكز على ما تقدمت الإشارة إليه ، سرعان ما قضت عليها إذ تركتها بين أيدي المتأخرين من متابعة قافلة التطور فى الأدب والفن . فإذا الناظر المسرحية للاجمال والإشارة فى التصوير ، وإذا الإضاءة للتركيز على المواطن المهمة فى الحركة المسرحية وليس لمجرد الإضاءة ، وإذا كل ما يبدو فوق المسرح للإيماء ، وإذا بالمسرح يصبح (تمويهاً للواقع) وليس (نقلاً واقعياً) عنه ، وامتد تأثير الاتجاهات الفنية الحديثة إلى الرئى فوق المسرح فإذا بنا نطالع فوّه مذاهب (الإيمائية) و (التأثيرية) و (التعبيرية) فى التصوير والرسم .

وقد زاد فى الأخذ بهذا ما فرضته السرعة فى الانتقال من تأثير على النظرة إلى الرئيات ، هذا التأثير الذى نسخ بدوره فعله على العقل الواعى وغير الواعى ، ففقد مقياس العمل فى كل نواحي الحياة ، (أتيان أكبر الأثر بأبسط الوسائل وفى أسرع وقت) . وكان من أكبر الأسباب التى دفعت بالمسرح إلى أن يأخذ اتجاهاً يميّز الواقعية ، فى تسجيل الرئيات ، هو قصوره عن مجازاة (السينما) فى وسائل أحياء الواقع على الوجه الذى تراه العين المجردة .

من أجل هذا وعلى هدى ما تقدم ذكره فإننا نأخذ بهذا الاتجاه الجديد فى إخراج مسرحياتنا ، حتى نحاكى روح العصر الذى نعيش فيه . الإيماء تأخذ مكان الحركة الكاملة ، وجذع الشجرة ينبىء عن فروعه ويشير إلى أغصانها ، والمامود ذو الطراز المحدود ، أو الحنية أو المقد فى البناء ، يبنى عن إيراد بهو كامل الجدران قد دقت اليد فى إيراد تفاصيله وكذلك الحال فيما